تجلي الروح المطلق "الإلهي" في الخطاب الجمالي عند هيجل

The absolute spirit " divine"is reflectecd in Hegel 's aesthetic speech.

سحابات مليكة

مصطفى اسطنبولي معسكر (الجزائر)، malika.sehabet@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/23 تاريخ القبول: 2022/09/30 تاريخ النشر: 2022/07/31

ملخص:

لقد صاحب الفن الإنسان منذ وجوده على الأرض ، إلا أنّ فلسفة الفنّ والجمال لم تنشأ إلا مع ظهور الفلسفة فعلى الرغم من أنّ الإنسان اهتم بالفنّ منذ القدم، لكنه لم يتأمل جوهره فلسفيا إلا في العصور المتأخرة حيث عالج العديد من الفلاسفة المشكلة الفنّية ومن بينهم فيلسوف المثالية المطلقة الألماني هيجل1831_1770 ، حيث لا يفصل هيجل الفنّ عن فكرة الروح المطلق الذي يمثل المرتبة العليا للفكرة المطلقة فهدف الفنّ عنده هو التعبير عن شكل الله وإذا لم يكن الأمر ممكنا فالتعبير عن روحه. فقد كان أساس فلسفته الجمالية قائم على افتراض أنّ الروح المطلق هو المحور الأساسي الذي ينطلق منه فالجمال الفنّي عنده متولد عن الروح وهو معنيّ بالسمو الروحي للذات وصولا إلى المطلق، وبما أنّه كذلك فهو ذو طبيعة روحية إلهية " الروح هو الله " وقد ربط هيجل درجات تطور الفكرة المطلقة بالمراحل الفنية المتقدمة مبرزا العلاقة بين الطبيعة و الروح المطلق. لأنّ الفنّ يقوم بتصوير المطلق تصويرا حسيا فتصُورُ هيجل للتجلّي الحسي للروح هو الذي يعطي علم الجمال عنده أهميته وقيمته الراهنة ولكن: إذا كانت الطبيعة تعبر عن الحسي المتناهي، والروح يعبر عن الكلي المطلق اللامتناهي، فهل بإمكان الفنّ أن يوحد بينهما وهل بإمكان المحسوس أن يعبر عن المطلق الالهي؟

الكلمات المفتاحية: هيجل، الفنّ، الجمال، الروح المطلق، الالهي.

Abstract :

Art in the contemporary period has been an important subject , especially as art become associted with various areas of life, including religion Many philosophers have been interest in the problem of the relationship between art and religion, including the idealistic German philosopher Hegel therefore Hegel linked the degrees of development of the absolute idea to the advanced artistic stages, highlighting the relationship between nature and the absolute spirit becouse art depicts the absolute visually but : If nature expresses the final, and the soul expresses on the absolute and ifinite totality , can art unite them and can the sense express the absolute

Keywords: Hegel ; Art ; Beauty ; Absolute Soul ; Divine

1. مقدمة:

غالبا ما تدرس الفلسفة المسائل الفنّية دراسة لا تخلو من المتعة والسمو الفكري إذ أنّ للبحث الفلسفي أهمية وقيمة كبيرة لا من حيث هو تحليل فكري فحسب بل لأنّه يزيد من استمتاعنا بالموضوعات الفنّية ويوسع فهمنا فعلم الجمال لم يبصر النور لولا الفلسفة وهذا ما أشار إليه بول فاليري في قوله" ولد علم الجمال يوما من ملاحظة فيلسوف وشهيته" ولهذا شكلت المسألة الفنّية موضوعا مهما في تاريخ الفكر الفلسفي عبر العصور ،ولا نجد في العصر الحديث من استطاع أنّ يعيد إلى الأذهان مثل هذه الفلسفة في الجمال مثل الألماني هيجل حيث أعطى للفنّ لمسة ميتافيزيقية وربط درجات تطور الفكرة المطلقة بالمراحل الفنّية المتقدمة مبرزا العلاقة بين الطبيعة المحسوسة وتجلي الروح المطلق وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي: إذا كانت الطبيعة تعبر عن الحسي المتناهي، والروح يعبر عن الكلي المطلق اللامتناهي، فهل بإمكان الفنّ أن يوحد بينهما وهل بإمكان المحسوس أن يعبر عن الروحي " الإلهي"؟.

2. مفهوم الفنّ:

اختلف العديد من الباحثين والمفكرين في حقول المعرفة على وضع تعريف محدد وواضح للفنّ، ويعود ذلك إلى العديد من الأسباب التي عبروا عنها في مختلف أعمالهم الفكرية، فقد حدده اندريه لالاند في موسوعته بأنّ: " الفنّ جملة طرق تفيد في توليد نتيجة معينة وبهذا المعنى يتعارض الفنّ مع أولا: العلم بوصفه معرفة خالصة مستقلة عن التطبيقات. ثانيا: الطبيعة بوصفها قوة منتجة بلا رؤية وبهذا المعنى تتعلق التعابير: فنون آلية...وفنون جميلة هدفها إنتاج الجمال" (اندريه، 2010)

بهذا يتعارض معنى الفنّ مع العلم لأنّهما يختلفان من حيث المنهج والموضوع والغاية، فمثلا نجد أنّ الفنّ غايته جمالية أي إحداث الجميل، أما العلم غايته نفعية.

"فالفنّ هو العمل الذي يتميز بالصنعة والمهارة...هو مجموع الطرق والوسائل التي تستعمل من أجل الوصول إلى نتيجة معينة حسب أصول معينة... وهو أيضا إنتاج جمالي يُنتجه الإنسان الواعي ويضيفه إلى الطبيعة." (معن، 1697)

فالفنّ هنا لا يشير إلى شيء أكثر من مجرد كونه لفظا نشير به إلى مجمل الطرق والأدوات التي تستخدم لإنتاج الأعمال الفنية التي ترمي إلى إنتاج الجميل وإحداث المتعة الجمالية والتذوق الفني، وإذا عدنا بمفهوم الفنّ إلى القواميس فإننا نجده بمعنى: " الأيرس باللاتنية والتخني باليونانية وهما كلمتين أطلقتا على كل نشاط منهجي، كل نشاط يتطلب منهجا...أما في الفرنسية tekni وهي عبارة عن مجموعة من التحف التي تحمل توقيع شخص معروف وتتصف بالإتقان والنوعية...و أصبح يطلق عليها في عصرنا الحالي الفنون الجميلة لما تحمله من جمال وتعبر عن أحاسيس وأهداف"(comptsponville, 2013)

وكأن الفنّ هنا يتطلب بناء أعمال فنيّة حسية تتصف بالإتقان والجودة والإبداع باعتبارها وسائل للتعبير عن الوجدان.

" ونجد أنّ لفظ الفنّ، مع فلسفة الفنّ، هو اسم لجملة القواعد التي يحصل بتطبيقها تحقيق غاية، وبهذا المعنى فالفنّ تقنية غايتها تحقيق الجمال أو إنتاجه، هذا ما يجعل الفنّ صنعة أو صناعة...غايتها ترك الجميل يتفتق وينبجس أو ينكشف في شكل عمل فني." (محمد، 2010)

وبهذا المعنى يصبح الفنّ بوصفه مجموع الصنائع التي ينتجها الفنان هدفها الأول تحقيق الجمال وتجليه.

هذا عن مفهوم الفنّ بصفة عامة، أمّا إذا عدنا إلى هيجل فنجده يرى أن الفنّ شأنه شأن الفلسفة والدين يكشف عن طبيعة الوجود المثالي وهو عنده عالم الروح.

" في الفن الإنساني نحن لا نعني مجرد اللعب، أيا كانت درجة بهجته أو نفعه، وإنما نحن معنيون بتحرير الروح البشرية من المادة ومن كل الشروط الجزئية المحدودة" (إ، 1985)

فهو يرفض كل تصور يجعل من الفنّ مجرد أداة أو وسيلة لتحقيق الترف واللهو، أو ما يجعل منه أداة لا أخلاقية، و إنّما يقصد منه وسيلة لتجلي فكرة المطلق .

"فمضمون الفنّ هو الفكرة، أمّا شكل عرضها فيقوم في أشكال الحس أو صور المخيلة" (إ ن.، 1985)

فالفنّ هو الانكشاف المحسوس للفكرة الفكرة بكلام أخر هي المضمون ومنه نجد أنّ العمل الفنّي هو شكل العلاقة بين الفكرة ومظهرها لتتحقق كملموس في الواقع.

" الفنّ عند هيجل أيضا نتاج الفكر شأنه في ذلك شأن المنطق والطبيعة والفلسفة وليس ثمة إبداع فنّي بدون تفكير بل ليس ثمة أي معرفة دون فكر وعقل... ويربط هيجل بين أصالة العمل الفنّي وبين المعقولية استمرارا للاتجاه العقلي" (مصطفى، 1999)

حيث يوضح هيجل هنا وبجلاء دور العقل في تجلي العمل الفنّي وهذا ما يضع رابطا قويا بين الفلسفة المثالية والفنّ عنده.

" فمحتوى الفن هو الفكرة، بينما شكله هو تشكيل المادة الحسية، و الآن على الفنّ، أن يصهر في تناغم هذين الجانبين ويدخلهما في كلية تصالحية حرة." (هيجل، ،2010)

ولذلك يجب على الشكل المادي أن يجسد بشكل جيد الفكرة وإلا سوف نصل إلى مركب سيئ .

" فالفن كما يراه هيجل وتبعا لتحليله ولفلسفته هو الجمال الذي نبدعه بوعي منا كأعلى أشكال المطلق أو الروح. ولذا يضع هيجل جمال الطبيعة خارج إطار جماليته" (إ ن.، لنظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985) فجمال الفنّ الحقيقي عنده ليس هو الجمال الموجود في الطبيعة الذي يأخذ شكلا ملموسا، وإنّما الفنّ في نظره أكثر إشراقا وتألقا واتساقا انه هو الروح.

" إن الجميل هو مصالحة بين المادة والإحساس من ناحية، وبين العقل والروح من ناحية أخرى، الجمال عند هيجل هو إشعاع الفكرةidea من خلال الموضوعات الحسية" (ولتر، 2000)وهذا يعني أنّ كل جميل له جانبين هما الفكرة والشكل الحسي الملموس (المادة الفيزيائية) الذي من خلاله تشع وتظهر هذه الفكرة حيث يرى هيجل " أنّ مهمة الفنّ هي التصوير الحقيقي للوجود في تجلياته الظاهرية،اعني في اتفاق محتوى منطقي مع نفسه وله قيمته الخاصة. ولهذا فإنّ حقيقة الفنّ لا تقوم في مجرد الدقة الصافية البسيطة... وإنّما يجب على الفنّ، كي يكون فنّا حقا، أن يحقق الوفاق بين الخارج والباطن... لأنّ هذا هو الشرط الوحيد لإمكان التجلي في الخارج" (الرحمن، 1996)

فوظيفة الفنّ لا تقتصر على محاكاة الطبيعة ورسم أشكالها وإنّما تتمثل وظيفته الأساسية في جعل الروح ينكشف ويتجلى فما المقصود بالروح؟.

3. مفهوم الروح" العقل "عند هيجل:

تعتبر المثالية مدرسة مهمة في تاريخ الفلسفة اهتمت بتفسير التاريخ العالمي، ولعل هذه المدرسة ليست جديدة وإنما تمتد جذورها إلى العصر اليوناني خاصة مع أفلاطون ولكن هذا التيار المثالي ازدهر وتطور مع الفيلسوف الألماني "جورج ويلهلم فريدريك هيجل " حيث جعل هذا الأخير كل فلسفته تسير وفق ما عرف عنده "بالروح" أو" العقل". فما الذي يقصده "هيجل" بالعقل أو الروح؟

إنّ مفهوم العقل ليس جديدا على الفلسفة وإنما كان موجودا من قبل، ولكنه اشتهر مع فلسفات التنوير حيث أصبح العقل هو الأداة المحركة لكل مجريات التاريخ.

" ويمكن أن نفهم طبيعة "الروح" لو أننا ألقينا نظرة على ضدها مباشرة "المادة" فكما أن ماهية المادة الثقل فإننا من ناحية أخرى يمكن أن نؤكد أن جوهر أو ماهية "الروح" هي الحرية(...) فالفلسفة تعلمنا أن كل صفات الروح لا توجد إلا بواسطة الحرية وإنها ليست إلا وسيلة لبلوغ الحرية» (هيجل، لعقل في التاريخ من محاضرات في فلسفة التاريخ، 2007)

فالروح شيء مثالي خارج عن إطار المادة الملموسة والقابلة للملاحظة فهو مفهوم ميتافيزيقي ماهيته الوحيدة هي الحرية، ولا يمكن لهذه الروح أو العقل أن يعي ذاته إلا بالحرية وقد جعل "هيجل" من" الروح" مبدأ أساسيا لتفسير كل الظواهر المادية والعقلية.

"فهيجل يفسر كل الظواهر والمشاكل العلمية والوجدانية بمبدأ واحد وهو الروح أو الفكرة الشاملة، واعتبرها أساسا ومعيارا لجميع أنواع الخارجات سواء كانت عقلية متمثلة في الأفكار أو المحسوسات المتمثلة في الموجودات المادية العينية والعالم بأكمله ليس سوى روح تندرج في مراحل تطورية ليعي ذاته منطلقا من الذات في صورتها المباشر ومتجها إلى تحقيقها في الصورة المثالية المطلقة والإنسان نفسه جزء من هذه الجدلية" (هلال، 2003)

فالعالم من منظور "هيجل"ما هو إلا روح تسعى لأن تثبت ذاتها منطلقا من الذات متجها إلى الصورة المطلقة ولن يتحقق ذلك الوعي إلا من خلال الجدل فالروح هي أساس تفسير كل الظواهر ولهذا نجد أنّ «نقطة الانطلاق في كل فلسفة "هيجل" هي إضفاء الطابع العقلاني على الواقع حتى يصبح الواقع واقعا حقيقيا، ولهذا نفهم عبارته الشهيرة أن كان ما هو عقلي واقعي، وكل ما هو واقعي عقلي .

فحسب"هيجل"لا يوجد هنا ما يخرج تفسيره عن إطار العقل وإن كان ما نفسره عقليا لابد من وجود له في الواقع وهنا يصبح كل ما هو عقلي واقعي والعكس صحيح

ومن هنا أصبح" الهدف الذي تسعى إليه الفلسفة "الهيجلية"بصفة عامة هو تفسير ظواهر العالم الذي نعيش فيه تفسيرا عقليا بحيث كل شيء له معناه الذي يستمده من وضعه داخل هذا الكل الهائل الذي نسميه الوجود" (إمام، 2007) فكل فلسفة "هيجل" تستند إلى مبدأ واحد وهو الروح أو العقل كأساس لتفسير كل ظواهر العالم.

"فالعقل أو الروح عند"هيجل"هو سيد العالم العقل هو الذي يحكم العالم ويحدد تطوره فإنّ تاريخ العالم يمثل حركة عقلانية هذا الفرض هو المحور الرئيسي في فلسفة هيجل". ف (فيصل، 1996)المنطق الذي يسير وفقه الفكر الهيجلي هو منطق العقل لأنّه سيد الإنسان وسيد العالم. وهذه الفكرة التي قال بها "هيجل" ليست جديدة على الفلسفة إذا نجد " أنّ فكرة العقل أو الروح المتحكمة في مسار التاريخ سبق أن قال بها "أنكساجوارس" الفيلسوف اليوناني استنادا إلى ما دعاه "بالنوس"(...) وقد أضاف "حسن مؤنس" أن الروح أو العقل الذي يتحدث عنه "هيجل" ليس هو العقل أو الفكر الإنسانيين العاديين وإنما هو العقل الأعلى الذي يوجه الكون" (يحي، 2007).

فالعقل الذي يتحدث عنه "هيجل" ليس عقلا إنسانيا خاضعا للتغيير بالمؤثرات وإنما هو عقل أعلى من ذلك هو عقل بإمكانه أن يوجه العالم بأسره ويتحكم فيه فكيف يمكن لهذا العقل أنّ يتجلى؟ .

4. الفنّ كتعبير عن الروح:

لقد كان منطلق هيجل في فلسفته هو أنّ مهمة الفنّ ليست استنساخ الطبيعة فالفنّ شيء منفصل عن الواقع الموضوعي، والجمال الفنّي هو جمال متولد عن الروح وبما أنّه كذلك فهو ذو طبيعة إلهية (الله هو الروح)

" فالفنّ كتجسيد حسي للفكرة هو جزء من العقل المطلق، إلى جانب الدين والفلسفة هو إذا واحد من ثلاثة أشكال تتحقق فيها حرية الروح ويجري التعبير عنه هو أول ظهور للمطلق، هو تعبير محسوس عن الحقيقة...بمعنى أنّ الفنّ هو الذي يقدم الحقيقة للوعي عبر المظهر الحسي..." (نوكس،إ) وهذا يعني أنّ

الجمال رغم ما يصبغه من طابع ميتافيزيقي إلا انّه يمزج بين الفكرة العقلية والمحتوى الحسي، أي بين المضمون والشكل.

" فالفن هنا هو الأقدر على الكشف عن سمات الروح الإلهية...بل يتخذ الشعر قيمة أعظم من كل الفنون الأخرى، لأنّه أكثر قدرة على الكشف عن الذات..." (اميرة)

فالفنّ وسيلة من وسائل الوصول إلى المعرفة الحقة المطلوبة وهي المعرفة القصوى للوجود إنها المطلق (الإلهي).

" فإنّ الله هو الروح، والروح يجد في الإنسان أكمل حضور له، في نتاجات الفنّ يمكننا أن نتلمس هذا الحضور المثالي لله، للروح، على نحو أدق بكثير وأعمق بكثير مما نجده في ظواهر الطبيعة" (إ ن.، النظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)فالطبيعة مهما بلغت من التجسيد فإنّها لا تبلغ التعبير عن المطلق فمثلا الزهرة أكثر جمالا من الساقية، والحيوان أكثر جمالا من الزهرة، والإنسان هو الأكثر جمالا من الحيوان. رغم أنّ الجمال الأصيل والحقيقي هو إنتاج الروح.

" إنّ لطافة الفنّ وامتيازه في إحراز واقع ملائم لمفهومه إنما يتوقف على درجة الباطنية والوحدة اللتين تظهر الفكرة والشكل وقد انصهرا في شيء واحد" (هيجل، علم الجمال وفلسفة الفنّ، 2010) وهذه هي اللحظة الحاسمة اللحظة الخاصة بتحقق الحقيقة الاسمي حيث تتحقق الروح في العمل الفنّي فيتطابق الشكل والمعنى وهنا يكمن أساس تقيم فلسفة الفنّ.

"فمضمون العمل الفنّي عند هيجل هو باستمرار كلي ومن ثم هو المطلق"[1] فقد وضح هيجل في العديد من محاضراته كيف يسير الفنّ في كشفه عن حقيقة الروح من خلال الأساليب المختلفة التي يتشكل بها في الحضارات الإنسانية ففيما تتمثل هذه الأساليب، وما هي مراحل تجلي الجليل في الفنّ؟.

5. مراحل تطور الفنّ عند هيجل:

يتألف تاريخ الفنّ من سلسلة مستويات تاريخية موازية لمراحل انكشاف الروح في عملية وعي ذاته، عملية معرفة جوهره المطلق وهذا ما يفتح المجال للعلاقة بين الفكرة وتجسيدها الحسي والتي تقع على ثلاث مراحل هي:

1.5_الفن الرمزي (العمارة)

"تتوازى مع بدء مرحلة الإنسان في تحوله إلى الوعي الذاتي الروحي وبدء تميزه عن الطبيعة و في هذه المرحلة تبدو الفكرة مشوشة وغير محددة، فهي لم تستطع إخضاع المادة، فهناك قصور في الفكرة، قصور في المضمون، الأمر الذي ينتج بالتالي قصورا في الشكل." (ستيس، 2000)

فعندما نلاحظ مثلا نحت العمارة عند قدماء الهندوس نجد غيابا للشكل ونلاحظ فيه أخطاء فادحة وعجزا عن السيطرة على الجمال وتشكيله سبب ذلك أنّ مضمون الفنّ وفكرته لم يكن كاملا ولا مطلقا. " فالفكرة هنا ما تزال تبحث عن تعبيرها الفنّي الحقيقي وبما أنّها ما تزال مجردة وغير متعينة، فإنها لا تحل في ذاتها بعد عناصر تظاهرها الخارجي بل تجد نفسها بمواجهة الطبيعة، وبمواجهة أفعال بشرية هي بالنسبة إليها خارجية.

وهي إذن تقحم على هذه الوقائع تجريداتها الخاصة أو تقرن بها عموميتها الغامضة المبهمة سعيا إلى الحصول على نتيجة عينية، تشوه آو تزيف الأشكال الواقعية التي تتعامل وإياها وتتعسف في استخداماتها وصياغاتها" (هيجل، الفنّ الرمزي، الكلاسيكي، الرومنسي، 1986)

ففي الفنّ الرمزي لا يمكن التعبير عن الفنّ الحقيقي لأنّ الفكرة لا تحل في التجسيد المادي بأي صورة كانت.

"وثم بدا ذلك واضحا في الفنّ البدائي التوحيدي في الشرق، لأنّ الفنّ الشرقي القديم ينير موضوعات الحس بنور الفكرة المطلقة ويسوي الأشكال الطبيعية لتعكس عالم الفكرة غير أنّ الفكرة التي يجري التعبير عنها تحتفظ بتعارضها مع الوجود الظاهري وبتميزها عنه" (إ ن.، النظريات الجمالية(كانط، هيجل، شوبنهاور))وهذا يعني أنّ التمايز مزال قائما بين المضمون والشكل وكأنّ احدهما ينفي الأخر ويتعارض معه.

"لذا وبدلا من تطابق امثل، لا تفلح في الحصول إلى على صدى، أو في أحسن الأحوال على توافق مجرد محض بين المعنى والشكل، فيبدوان بالتالي أكثر خارجية وغربة واحدهما عن الأخر" (هيجل، الفنّ الرمزي، الكلاسيكي، الرومنسي،، 1986)

يبدو أنّ الفكرة والشكل الذي يعبر عنها مختلفان تماما بمعنى أنّ الشكل المادي عجز عن تصوير فكرة الروح.

" أما أعلى أشكال الفنّ الرمزي و أكثره تميزا هو فنّ العمارة، فهو يرفع معبدا لروح الله وهو رائد في الطريق نحو تحقيق يليق بالله، وهو يفتح فضاءا يتسع لإله، ويجسد له بيتا يكرس للروح، ... كأنّ فنّ العمارة يبني تجمعا أمنا لجماعة الله." (إ ن.، لنظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

بمعنى أنّ فنّ العمارة يجسد فكرة الله في المعبد لكنه لم يستطع أن يعبر عن الله كفكرة روحية مطلقة، وهذا يخلق أيضا انفصالا بين المضمون والشكل لذلك ما زالت العلاقة بينهما غامضة لعدم وجود تناسب بين الفكرة والشكل لذلك لا بد من تحقيق بسيط بين المعنى والمضمون الذي يناسبها، وهذا ما نجده في الشكل الفنّي الثاني هو الفن الكلاسيكي

2.5_الفن الكلاسيكي (النحت)

هنا يخرج العقل من سباته لكسر قشرة الغموض التي كانت تلتف به في المرحلة الرمزية ويتوهج نور الحقيقة لمحاولة التوحيد بين المعنى والشكل،أي بين الفكرة وتجسيدها المحسوس.

" في النحت يبلغ الفنّ الكلاسيكي ذروته وكماله، كانت العمارة مرحلة تنقية العالم الخارجي... وختما بخاتم الروح، وشيد معبدا للإله، أما الآن فقد الإله نفسه المعبد... في النحت يقترب الشكل من المضمون ويندمجان على نحو مباشر بفردية روحانية. في النحت يتوهج الشكل الإنساني بمضمون النور الروحاني" (ا، 1986)وهنا يتحقق التناسب بين الوجود والشكل الطبيعي وبين العقل.

" إنّ تحقيق أعمال فنّية كلاسيكية تقتضي ألا تكون الروح، المطلوب من الفنّ تمثيله، هو الروح المطلق، أي الروح المشبع بالروحية والداخلية، إنما الروح الذي ما يزال مشوبا بالخصوصية والتجريد... ذلك أنّ الشكل الخارجي، من حيث هو خارجي، شكل متخصص لا يمكن له أن يحقق اندماجا حميميا وكاملا إلا مع مضمون يتعين هو الأخر وبالتالي إلى محدود، والروح، بخصوصية لا يمكن له أن يحقق نفسه على أتم وجه إلا بواسطة تظاهر خارجي وعن طريق الدخول في اتحاد لا انفصام فيه مع شكل خارجي" (هيجل، الفنّ الرمزي، الكلاسيكي، الرومنسي،، 1986)

بمعنى أنّ الفنّ الكلاسيكي يتطلب تحقيق التوافق التام بين الفكرة وواقعها المادي، فيظهر للتأمل المحتوى الداخلي من خلال الشكل الخارجي الذي تم صياغته لتعبير عن الفكرة دون التباس أو غموض، وهذا ما يأخذنا مباشرة إلى الطور الثالث وهو الفن الرومنسي .

3.5_الفن الرومنسي: الرسم، الموسيقى، الشعر

" هنا ينشأ ثانية، تناقض بين المضمون والشكل، ولكن في مستوى أعلى روحيا من التناقض الأول... إنّما يوضح بجلاء سمو الفكرة أو الروح المطلق على الشكل الحسي" (إ ن.، النظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

يظهر في الفنّ الرومنسي أنّ الروح أسمى بكثير من أن نعبر عنه في عمل فنّي فمهما بلغت قدرة الشكل على التجريد فإنّه لا يستطيع بلوغ المطلق وتجسيد (الإلهي).

" إنّ اله الرومنسية هو الإله المسيحي، وهو لا يظهر في شكل حسي وإنما كروح مطلق، ومضمونه المحدد هو العقل...تتجاوز الروح المطلق اللامحدود، الكلي، المخيلة الحسية، والوسط الحسي، ويبدو ابعد من أن يسعه معبد خاضع لقانون الميكانيكا أو شكل إنساني محدود وظواهره" (إ ن.، النظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

لقد قام فنّ العمارة ببناء معبد للإله في حين أنّ فنّ النحت وضع تمثالا للإله في هذا المعبد، أما الآن فقد آن الأوان للإله أن يخرج من التجريدات الرمزية المبهمة، وأن ينعتق من الملموس وينحدر ليعبر عن ذاته بذاته ويكشف عن حقيقته.

" الله لا يبحث فقط عن شكله أو يطلب تحقيق ذاته في شكل خارجي، ولكنه يبحث عن ذاته في ذاته، أي بإعطاء نفسه الصورة الملائمة في عالم الروح فقط. الفنّ الرمزي يتجاوز مطلب تصوير الله في شكل خارجي، هو يقدم الإلهي الآن كروح أعلى من كل ظاهرة ولا يستوعبه الظاهر إلا مجازا" (إ ن.، لنظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

تتجسد الروح في الفنّ الرومنسي في الرسم والموسيقى والشعر فهي اكثر الفنون التي تجسد بين الحسي الملموس والروحي

- **الرســـم:**

"لقد استطاع الرسم أن يظهر الأبعاد الثلاثة على نحو مثالي... فهو يطّلع أن يصور مشاعر القلب الإنساني أو يقترحها واستطاع أن يصور جوانب الطبيعة ومشاهدها كلوحات ملائ بالمشاعر، أي كنتاجات للوعي مرفوعة للروح " (إ ن.، النظريات الجمالية(كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

لكن رغم هذا يبقى الرسم مرتبطا بتشخيص المكان فهو وإن حاول تجسيد الروح فإنّه لا يخرج عن الوسط المادي والمكاني.

- **الموسيقى:**

" إنّ المضمون المادي يجري نقضه فيزول ويتحول إلى معطى سمعي، يدخل الموسيقى، وقد تحرره من كل قيد، إلى مشاعر النفس فتظهر جوهر حياتنا الداخلية... فهي تجسد لمثالية واضحة ومشاعر ذاتية، ومظاهر تتألف من أنغام رنانة بدل الأشكال المرئية" (نوكس،إ، النظريات الجمالية(كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985) فما يعرف عن فنّ الموسيقى أنها تجسيد للمشاعر وما تتصف به المشاعر أنها غامضة غير محددة وهذا ما يمنع الروح من التحقق والتجسد.

- **الشـــعر:**

"الخيوط التي تشد الفنّ إلى الأرض، هذه الخيوط لا تنكسر إلا في الشعر، في الشعر يستخدم العقل، والصوت... لم يعد الصوت مجرد مادة... بل هو الآن ظلّ أو إشارة لشيء هو أكثر وابعد من مجرد صوت، إشارة إلى مجال الروح... الشعر إذن هو الأكثر سموا، الأكثر حرية بين كل الفنون، مسكن الشعر عالم الروح، هو ينتمي إلى حياتنا الداخلية، حياة المشاعر والعقل" (إ ن.، النظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)، 1985)

وفي هذه اللحظة الحاسمة في اسمى انواع الفنّ، في الشعر فقط تجاوز الفنّ ذاته، ويبتعد عن مستوى تمثيل العقل في صور حسية ملموسة، ويتقدم من شعر الفكر إلى نثر الفكر وتجسيده حيث يقول هيجل في تعريفه للشعر :إنّه الفنّ المطابق للعقل الذي أصبح حرا في طبيعته والذي لا يكون مفيدا في أن يجد تحققه في المادة الحسية الخارجية، ولكنه يتغرب بشكل تام في المكان الباطني والزمان الباطني للأفكار والمشاعر

فالشعر كلون فنّي يخاطب منطق العقل بصفة مباشرة يعطيه هيجل أهمية كبيرة على غرار الألوان الفنية الأخرى.

وهذا ما جعل " هيجل يتناول رمزية الجليل من خلال الشعر، الذي في نظره يملك القدرة على جلاء الروح الذي يقيس من ذاته عناصر شكله المطابق، والذي يؤلف حقيقة هدف الفنّ الرمزي، عن طريق وعي المدلول في ذاته بمعزل عن عالم الظاهرات، ولأنّ المجوس ما استطاعوا انجاز هذا الانفصال بين الشكل

والمضمون بقو شعبا بلا فنّ حسب هيجل، وما استطاعوا حل التناقض بين الانفصال والوحدة رغم انه ضروري للفنّ، حيث كان الفنّ الذي انتهوا إليه فنا غرائبي الرمزية" (مونيس، 2019)ومن هذا التصنيف نجد أنّ هيجل يفضل الفكرة الروحية على الشكل المادي الخارجي المحسوس للفكرة فالفكرة هي الأول والأخر في العملية الفنية وما الواقع إلا ميدان للتأمل الروحي الذي تستطيع
الذات من خلاله رصد إشكال تكوُن الفكرة المختزلة في الواقع والتي تمثله في حقائق جوهرية، فالفن وجود روحي هو أسمى درجة وأكثر حقيقة من الوجود المادي.

"اذن في الشعر فان شكل التعبير هو دائما الفكرة الكلية...فإنّ الشاعر لا يعطي داما الا الاسم (الكلمة) والتي يرتفع فيها الفرد الى مصاف الكلية، لان الكلمة هي نتاج افكارنا وبالتالي تحمل في ذاتها طابع ماهو كلي" (هيجل، جماليات العمل الفني، 2013) ومن هنا يشكل الشعر عند هيجل لحظة اكتمال الفنّ ونهايته وتجلي الروح المطلق بعدما تحققت كل النماذج المتاحة فيه تاريخيا.

6. خاتمة:

لقد كانت جماليات هيجل الأكثر انتشار ونفوذا في الأوساط الفكرية الحديثة والمعاصرة، فلم يكن هناك فيلسوف أخر قد أنجز مقدار ما أنجزه هيجل، فقد كانت تحليلاته في الفنّ في منتهى الدقة رغم التعقيدات الميتافيزيقية التي تميزت بها فلسفته إلا أنها تبقى غنية برؤيتها العميقة ونقدها الجمالي الرصين ومن بين أهم الإشكاليات المرتبطة بفلسفة الفنّ عنده مشكلة العلاقة بين الفنّ وتجلي الفكرة المطلقة وهو ما قمنا بمحاولة توضيحه من خلال هذه الدراسة المتواضعة لنصل إلى النتائج التالية:

_الفنّ هو خطوة سابقة في العقل نحو الحقيقة بمعنى أنّ الفنّ فكرة تنطبع في الذهن في انتظار تجسيدها كحقيقة محسوسة.

_ لا يستهدف الفنّ إنتاج صور تعبر عن الطبيعة بقدر ما يسعى إلى تجاوزها بطريقة حرة ولذلك نجد أن الرأي الذي يزعم بأنّ الفنّ وسيلة تفيد في تحسين العالم والارتقاء به أخلاقيا أو معرفيا بوجه عام هو رأي عار من الصحة لأنّه معني بالسمو الروحي للذات وصولا إلى تحقيق المطلق.

_ صنف هيجل منزلة الفنون حسب تحررها من التزامات المادة فاعتبر فنّ العمارة أبعد الفنون عن الجمال لأنّه عاجز عن التعبير الروحي تعبيرا مطابقا بواسطة المادة التي يستخدمها كعنصر حسي، ليتلاشى هذا الاختلاف بين الشكل والمضمون في الشعر.

_ الفنّ يعكس أنماط التفكير الإنساني عبر التاريخ، وما تطور الفنّ إلا تطور للعقل البشري وتاريخ الفنّ هو تاريخ تحررا لذوق الإنساني من هيمنة المادة الذي صار روحا خالصا في الشعر بعد أن كان خشبا ولونا وصوتا...

_ يشكل الشعر عند هيجل لحظة اكتمال الفنّ ونهايته بعدما تحققت كل النماذج المتاحة فيه تاريخيا ليتحقق هنا الروح المطلق.

إذن نجد أنّ الفنّ عند هيجل هو فكرة تمثل أعلى درجات الحقيقة المطلقة، كما أنّه الحقيقة ذاتها أو مظهر من مظاهرها.

7. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. (نوكس، إ)، (س 1985) **النظريات الجمالية (كانط، هيجل، شوبنهاور)**، تر:محمد شقيق شيا، ، ط، 1بيروت(لبنان)،. حسيون الثقافية
2. (الملاح هاشم يحي)، (س 2007) **في فلسفة التاريخ**، دار الكتاب العلمي، ط1، بيروت (لبنان)،.
3. (إمام عبد الفتاح إمام)، (س 2007)**دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل**، بيروت(لبنان)، دار التنوير.
4. (بدوي عبد الرحمن)، (س1996)،(**فلسفة الجمال والفن عند هيجل**، ، ط1، بيروت(لبنان)، دار الشروق.
5. (حلمي مطر اميرة)، دس، **فلسفة الجمال**، دط، القاهرة (مصر)، دار المعارف.
6. (خالد عبد الكريم هلال)، (س 2003)، **أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة**، ، ط1، بنغازي (ليبيا)، منشورات قاريونوس.
7. (زيادة معن)، (س1697)، **الموسوعة الفلسفية العربية**، المجلد الاول، ، الطبعة الاولى، بيروت لبنان،معهد الانماء العربي.
8. (ستيس ولتر)، (س2000)، **معنى الجمال في نظرية الاستطيقا**، تر: امام عبد الفتاح امام، ، دط، القاهرة (مصر)، المجلس الاعلى للثقافة

9. (طواع محمد)، (س2010)، **شعرية هيدغر مقاربة انطولوجية لمفهوم الشعر**، ، دط، المغرب، منشورات عالم التربية.

10. (عباس فيصل)، (س1996)، **الفلسفة والإنسان، جدلية العلاقة بين الانسان والحضارة**، ، ط1، بيروت (لبنان)، دار الفكر العربي.

11. (عبدو مصطفى)، (س 1999)، **فلسفة الجمال ودور العقال في الابداع الفني**، ، ط2، (القاهرة)، مكتبة مديولي.

12. (لالاند اندريه)، **(س2007) ، موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الاول، تر:خليل احمد خليل، الطبعة الثانية، بيروت، باريس، منشورات عويدات.

13. (هيجل)،(دس)، **العقل في التاريخ من محاضرات في فلسفة التاريخ**، تر: امام عبد الفتاح امام، ، ط3، بيروت (لبنان)،دار التنوير.

14. (هيجل)، (س1986)، **الفنّ الرمزي، الكلاسيكي، الرومنسي**، تر: جورج طرابشي ، ط2، يبروت (لبنان)، دار الطليعة.

15. (هيجل)، (س2013)، **جماليات العمل الفني**،تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ،ط2، القاهرة (مصر)، دار الكلمة.

16. (هيجل)، (س2010)، **علم الجمال وفلسفة الفنّ**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ، ط1، القاهرة (مصر)، دار الكلمة.

17. André comptsponville(2013)**Dictionnaire philosophique**) , Quadrige .Paris:

- **الأطروحات:**

1_(كرد محمد)، (2012)، **فلسفة الشعر والوجود عند هيدغر**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران،الجزائر،

- **المقالات :**

1_(خضرة مونيس)، (س2019)، **هيجل واستيطيقا الفكر: الشعر وفكرة النهاية**، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، العدد9، ، ص 09_34.